هيئة كتابة التأريخ

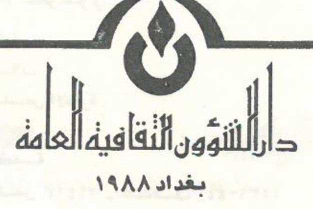
سلسلة الموسوعة
التاريخية الميسرة

المدرسة العلية في بغداد

(قصر الثقافة والفنون)

د. عماد عبد السلام رؤوف

وزارة الثقافة والاعلام



دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٨



هيئة كتابة التأريخ

سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة

المدرسة العلية في بغداد

(قصر الثقافة والفنون)

د. عماد عبد السلام رؤوف

الطبعة الاولى ـ لسنة ١٩٨٨



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

مقدمة

تزايد عدد المدارس في المدن العراقية ، منذ تأسيس أولاها في منتصف القرن الخامس للهجرة ، زيادة سريعة لافتة للنظر ، حتى لم تبق مدينة مهمة في العراق الا وأسست فيها مدرسة أو أكثر ، لها من المدرسين والمعيدين والاوقاف ما يكفي لاستمرار دورها الثقافي ، وغدا واضحا ان المدرسة أصبحت مركز الثقل الاساسي لحركة التعليم تلك ، بعد ان كانت تتجاذبها مراكز متنوعة ، كحلقات المساجد ، وبيوت العلماء ، والربط ، وخزائن الكتب . وفي خلال مدة لا تزيد على قرنين ، وصل عدد المدارس (المعروفة لنا فقط) في المدن العراقية الكبيرة، الى نحو تسعين مدرسة (او كلية بمفهومنا المعاصر) وكانت حصة بغداد منها وحدها ٣٧ مدرسة ، تدرس مختلف العلوم الدينية واللغوية والادبية،وأحيانا العلمية البحتة،كالطب والرياضيات ومايتصل بهما من علوم(*).

ولقد احتفظت بغداد ، على الرغم من كل الكوارث والنكبات البشرية والطبيعية التي عانت منها بعد سقوط الخلافة العباسية ، في منتصف القرن السابع الهجري ، بعدد من مدارسها العتيدة ، فكانت هذه المدارس موئل العلماء والطلبة والدارسين لقرون عديدة، فيها تؤخذ العلوم ، ويستجاز الطلبة ، وتنتسخ الكتب

والرسائل ، وتشرح المتون ، ويتم تبادل الآراء ، ومع ان اهتمامات تلك المدارس ومناهجها كانت تتسم في القرون الاخيرة بالتقليدية الشديدة ، وقلة التجديد ، الا ان فضيلتها الكبيرة كانت تكمن في انها نجحت في حفظ ثقافة الشعب ، ومن ثم هويته القومية المميزة ، بعيدا عن مدخل الغزاة وتأثير الغرباء .

وفي الواقع فان انشاء المدارس ، على اختلاف أنواعها ومستوياتها ، ظل من الاعمال المحمودة التي يضطلع بها المجتمع بوصفها داخلة في نطاق «الصدقات الجارية» التي يشمل نفعها أجيالا متعاقبة ، بل ان من الولاة وارباب السلطان من تأثر بهذه الحركة ، فحاولوا التشبه بأعمال مؤسسي المدارس السابقين ، بانشاء بعض المدارس ، ووقف الاوقاف عليها ، وترتيب المدرسين . وفي أحيان كثيرة ، كان يجري احياء مدارس شهيرة قديمة نسيت أسماؤها ، ليعاد تسميتها بأسماء مجدديها .

ومن تلك المدارس ، مدرسة كبيرة مهمة ، كان لها شأن في تاريخ بغداد الثقافي، أعني المدرسة العلية التي أنشأها والي بغداد علي باشا سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م في موقع مدرسة فخمة ، انشئت في أواخر القرن السابع الهجري ، على الاسلوب المتبع في بناء المدارس العباسية الكبيرة ، وهي التي عرفتها المصادر التاريخية بالمدرسة العلائية الشاطئية نسبة الى مؤسسها الامير علاء الدين

علي بن عبدالمؤمن ، والى موقعها المطل على شاطيء دجلة .

وتكمن أهمية البحث في هذه المدرسة العتيدة ، في انه يعالج تاريخ مؤسسة تعليمية بارزة لما يزل مبناها قائما حتى يومنا هذا ، وهو يعد نموذجا جيدا لتطور المدرسة العباسية البغدادية في القرن السابع الهجري، يضاف الى النماذج القليلة المتبقية من ذلك العصر ، وهي حصرا المدرسة المستنصرية والمبنى المعروف بالقصر العباسي ثم المدرسة المرجانية من القرن التالي ، فدراستها ، من هذه الزاوية تكشف عن تطور عمارة المؤسسات التعليمية في العراق في حقبة مهمة من تاريخه . ومن ناحية أخرى، فان احياء هذه المدرسة في القرن الثاني عشر الهجري (١٨ م) باسم « المدرسة الطيبة » مع اختزال بعض مرافقها ، وزيادة مرافق أخرى ، دل على مرحلة جديدة من مراحل تطور عمارة المدرسة البغدادية، ويمكن القول بأن مبنى هذه المدرسة ، يعد النموذج الوحيد المتبقي لمدارس بغداد المستقلة في القرون المتأخرة، ولا نشك في أن الباحث سيتوقف طويلا عند هذا النموذج عند دراسته لمدارس ذلك العصر ومنشآته الثقافية .

ومن ناحية ثالثة ، فان تحول المدرسة العلية ، في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) الى مدرسة

«للصنائع» كان أمرا فريدا في تاريخ المدارس في العراق، وتكمن أهميته في دلالته على تطور المدرسة التقليدية الى مدرسة صناعية تأخذ بعلوم العصر وتحاول الاستجابة لنزعته التقنية الجديدة ، وهو ما يشير الى بدء تحول خطير في ثقافة العراق وقيمه العلمية الرئيسة .

ولعل من نافلة القول ، ان البحث في تاريخ المؤسسة العلمية ، التي شهدت كل هذه التحولات ، لم يكن ميسورا ممهدا ، فثمة آراء متضاربة حول ما كان يشغل أرض المدرسة العلية قبل انشائها من منشآت . وكان من الواجب دراسة هذه الآراء بتأن ، ومناقشتها مناقشة علمية ، وبعد مقارنات فنية بين مبنى « العلية » ومباني مدارس بغداد العباسية ، وتلمس النصوص الخططية ، توصلنا الى ان هذه المدرسة لم تقم الا على اسس مدرسة قديمة سبقتها ، ويرقى زمن تأسيسها الى نحو خمسة قرون قبلها ، ثم اننا تناولنا بالبحث أخبار المدرسة القديمة ، وتتبعنا تاريخ المدرسة المستجدة ، أي العلية، متطرقين الى هوية مؤسسها ، وأخبار افتتاحها ، وما ازدانت به من كتابات أثرية ، وما أوقفه عليها محبو العلم من أوقاف للانفاق عليها ، وما تناهى الينا من أسماء مدرسيها ، وكلهم من كبار علماء بغداد في عصرهم ، وما وصل الينا من عناوين الكتب النفيسة التي كانت تحفل

بها خزانتها ، وما آل اليه أمرها بعد تحويل المدرسة نفسها الى مدرسة للصنائع ، ثم أكملنا البحث بتقديم لمحات سريعة عن مصير مبنى المدرسة بعد ذلك حتى استقر أخيرا قصرا كبيرا للثقافة والفنون .

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف
بغداد في أيار ١٩٨٨

موقع المدرسة العلية

ليست ثمة نصوص قاطعة، أو شواهد أثريةواضحة، يمكن الاستدلال بها على ما كان يشغل أرض المدرسة العلية قبل انشائها سنة ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢م ، كما ان الكتابة الاثرية الوحيدة التي احتوتها المدرسة، وقد نقل نصها بعض من شاهدها ، لم تشر ــ هي ايضا ــ الى أي شيء يفهم منه ذلك . وعلى الرغم من علمنا بأن مبان أثرية عديدة ذات شأن لا بد من أن تكون قد شغلت أرض هذا المكان ، الا ان أحدا من الباحثين المحدثين في تاريخ بغداد وتطور خططها ،أمثال ليسترنج في كتابه عن بغداد في عهد الخلافة العباسية ، وماسنيون في بعثته في ما بين النهرين ، وزاره وهرزفيلد في نزهتهما الاثرية ، ومحمود شكري الآلوسي في أخبار بغداد ، ويعقوب سركيس في مباحثه العراقية ، وليسنر في خطط بغداد، لم يتعرض الى هذا الموضوع أصلا .

وأول من أدلى برأيه حول طبيعة المنشآت القديمة التي ورثت المدرسة أرضها ، هو الشيخ محمد صالح بن محمد سليم العباسي السهروردي ــ رحمه الله ــ المتوفى سنة ١٩٥٧ م ، وذلك في ثلاث مقالات نشرها في جريدة « العراق » البغدادية خلال شهر حزيران من عام ١٩٣٠، بعنوان « ليس قصر القلعة قصر الناصر لدين الله ولا قصر

المأمون العباسيين بل قصر أم حبيب العباسية » وقد رد فيها على مقالة سابقة ، كتبها الدكتور مصطفى جواد في جريدة العراق نفسها ، بتاريخ العاشر من حزيران من ذلك العام ، بعنوان « قصر الناصر لدين الله العباسي بالقلعة» ذهب فيها الى أن قصر القلعة ، وهو الذي عرف بالقصر العباسي في وزارة الدفاع فيما بعد ، ان هو الا قصر الخليفة الناصر لدين الله(٥٧٥ـ٦٢٢هـ) المعروف بتاريخ بغداد العباسية بدار المسناة، وليس قصر المأمون كما كان شائعا في أوساط البغداديين يومذاك ·

وعند تحليل مصادر معلومات الشيخ في اثبات رأيه ذاك ، نجد انه أشار ، بصفة وحيدة ، الى نص خطي ، كتبه احد أفراد اسرته المتأخرين ، هو ابو عبدالرحمن نافع بك المتوفى سنة ١٣٢١ هـ تقريبا / ١٩٠٣ م وكان ضابطا للمدفعية في قلعة بغداد،ورد فيه ان القبور المعروفة في القلعة بداد وبيداد وغيرهما هي للخلفاء العباسيين (العراق ٢٣ حزيران ١٩٣٠) فاستنتج ان هذا المكان هو الذي عرفته المصادر التاريخية بمقابر الخلفاء العباسيين في الرصافة ، وبما ان الرصافة كانت ـ على ما ذكرت تلك المصادر ـ من اختطاط الامام المهدي ، وان الاخير شيد فيها جامعه الشهير ، والذي ظل مصلى أهل بغداد الشرقية عدة قرون ، فقد استنتج ان جامع الرصافة هذا،

هو جامع القلعة · ويظهر انه قرأ في معجم البلدان لياقوت الحموي البغدادي ان هذا القصر كان اقطاعا من المهدي لعمارة بن أبي الخصيب مولى روح بن حاتم ، وقيل : مولى المنصور ، وانه كان يقع على شارع الميدان ، ثم أصبح فيما بعد للربيع بن يونس ، ثم لام حبيب في أيام المأمون ، قبل أن يتخذه الامراء مقاما لهم ، فتصور ـ رحمه الله ـ ان الميدان المذكور في نص ياقوت ، هو الميدان الحالي وان شارع الميدان هو الشارع النافذ منه الى نهر دجلة حيث يقع قصر القلعة ، والمدرسة العلية ، وبنى على هذا التصور أن يكون قصر أم حبيب ، بكل تاريخه المذكور ، هو احدى هاتين البنايتين ·

ثم عاد الشيخ السهروردي ، الى معالجة الموضوع نفسه ، في اربع مقالات متتابعة ، نشرها في العراق أيضا، بين ٢٧ حزيران و ٢ تموز من العام نفسه ، مؤكدا صحة ما توصل اليه في مقالاته الثلاث السابقة ، ومستندا،هذه المرة ، الى نص مخطوط آخر ، لمؤرخ من أفراد اسرته، يظهر انه عاش في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) سماه : العلامة أبي صالح الشيخ محيي الدين العباسي قاضي تكريت ، وهو نص يدور حول الفضائع وأعمال التخريب التي ارتكبها الفرس في أثناء الغزو الصفوي سنة ١٠٣١هـ/١٦٢١م ، وقد جاء

فيه : « ثم عمد الفرس الى قتل كل من يلاقونه صغيراكان أم كبيرا رجلا أم امرأة ، ونهب الدور والاسواق ودار الامارة وأباحوا فيها كل محرم ، وحرق المساجد وهدم الاضرحة ونبش الموتى من المشايخ المشهورين خصوصا جامع الرصافة ، وقصر عزيزة الرشيد بنته أم حبيب بكل ذخائره وما فيه من الاسلحة وآلات المنجنيق التي وضعها فيه الوالي يوسف باشا ، وكان قد جابها معه من دار السلطنة العلية ، ثم هدموا منظرة هذا القصر وبرجه الشامخ وغرفه البديعة ، لا سيما دار القرآن منه ، وايوانه المتصل برباط سيدي أبي النجيب عبدالقادر (كذا والصواب : عبد القاهر ولعله من الغلط المطبعي) السهروردي قدس سره العزيز ، .. ثم نهبوا السيوف والدروع السوابغ والاقواس فالسهام والالبسة التي كانت في دار المظالم الملاصق لجامع الرصافة في هذه القلعة ، ثم هدموا قبب ثلاثة قبور للخلفاء العباسيين وجعلها أثرا بعد عين » .

وقد رأى الشيخ الفاضل ان هذا النص يقطع بأن قصر أم حبيب كان مدخر أسلحة الينجرية حتى دخول العجم بغداد ونهبهم اياه ، وانه كان ملاصقا لجامع الشيخ أبي النجيب السهروردي المقابل للنادي العسكري اليوم ، لكنه سكت عن رأيه السابق ، الذي لم يمر على نشره

شهر واحد ، في ان قصر ام حبيب هذا هو قصر القلعة ، وذكر بدله ، انه المدرسة العلية دون غيرها .

وعلى أية حال ، فلابد للباحث من وقفة قصيرة عند هذا النص الذي اعتمده الشيخ السهروردي في اثبات رأيه ، والذي نقله عنه فيما بعد آخرون دون تدقيق كاف . ونحن نعتقد ان النص كله ــ رغم توفر بعض التفاصيل فيه ــ هو من وضع الشيخ الفاضل نفسه ، أو في الاقل من صياغته الشخصية ، يحدونا الى هذا القول ان اسلوب القطعة التي نقلها منه يكاد يتطابق مع اسلوبه، الى حد يستبعد معه أن يكون من قلم مؤلف آخر ، تفصله عنه مدة ثلاثة قرون من الزمن، وقد سبق أن نسب رحمه الله الى كتاب محيي الدين هذا معلومات عن بعض مساجد بغداد ، نشرها في صحف بغدادية مختلفة ، تبين ــ فيما بعد ــ مدى بعدها عن الصواب ، ومما يؤكد انه تصرف في هذا النص او انه وضع فيه ، اشارته المبهمة الى ان ما نقله منه كان موافقا « ما جاء في بعض المجاميع لبعض الفضلاء البغداديين سودوا الكراريس من تلك المفزعات » هكذا، دون أن يسم أحدا من اولئك الفضلاء أو يذكر عنوانا واحدا من عناوين كراريسهم، ومن ناحية أخرى فان ما نسبه اليه من معلومات ذات صفة قطعية ، تطابق ــ على نحو ظاهر ــ ما استنتجه هو ، في مقالاته

السابقة ، ومع ذلك فانه لم يعتمده ، أو يشر اليه في تلك المقالات • ولو كان هذا النص موجودا فعلا ، لما فاته أن يدعم به استنتاجاته تلك ، وهو يرد على مقالة الدكتور جواد • وعلى أية حال فان أحدا ، غيره ، لم ينوه بوجود مخطوطتي الضابط أبي عبدالرحمن، والشيخ محيي الدين، بل لم يشر الى مؤلفيها أحد على الاطلاق •

ومما يؤكد ان القول بوراثة المدرسة العلية ، او القصر العباسي ، لقصر أم حبيب ، هو من اجتهاد الشيخ المحض ومن بنات أفكاره وحده ، لا من خلال نص قديم، ما ذكره هو ـ رحمه الله ـ في كتابه المخطوط الذي عنونه « أعمال الاجداد في محلات ومعاهد وآثار وقطائع وقصور وسويقات واسواق دار الخلافة بغداد » وفرغ من تأليفه سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م ، أي قبل سنتين فقط من تاريخ نشره مقالاته في جريدة العراق ، فقد قال ،عند كلامه على جامع الرصافة ما نصه « كان هذا على مايظهر في الميدان متصلا أو بالقرب من قصور أم حبيب رحمها الله »[٢] مما دل على عدم تأكده من موقع الجامع، ولكنه عاد ، فكتب على هامش النص ، وفي وقت متأخر التعليقة الآتية : (هو جامع القلعة الآن) ثم استدرك ، فاضاف لفظة (غير) في أول هذه الجملة ، فأصبحت كالآتي (هو غير جامع القلعة الآن) وهو أمر يدل على تردده الشديد

حول تعيين الصلة بين الموضعين ، ولو كانت مخطوطة محيي الدين لديه لما شعر بكل هذا التردد •

ان أحدا من المؤرخين القدامى لم يحدد موضع قطيعة عمارة بن أبي الخصيب حيث أقيم قصر السيدة ام حبيب • ويفهم مما اورده الخطيب البغدادي وياقوت الحموي انها تقع على شارع الميدان ، ومن المعروف بحسب علم الخطط البغدادية ، انه كان في الجانب الشرقي ، على توالي العصور ، ميادين عديدة ، منها ميدان الامين ، وميدان باب الازج ، وميدان الحلبة ، وميدان معز الدولة ، وميدان الرصافة •• الخ ، الا ان اطلاق لفظ الميدان وحده ، كان يقصد به ميدان الرصافة دون غيره ، فانه أقدمها وجودا (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) واكثرها شهرة •

والرصافة هذه ، كانت تقع بازاء محلة الامام أبي حنيفة وبلصقها ، على ما تؤكده نصوص ودلائل خططية عديدة ، منها ما ذكره ابن جبير في رحلته، اذ قال « وبأعلى الشرقية (أي الجانب الشرقي) خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة ، وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان •• فيه قبر الامام أبي حنيفة (رض) وبه تعرف المحلة »[٢] ومنها ما ذكره ياقوت الحموي في وصفه تلك الانحاء ، ابان القرن السابع الهجري (الثالث عشر

الميلادي) قال « وخربت تلك النواحي كلها ولم يبق الا الجامع (يعني جامع المهدي بالرصافة) وبلصقه مقابر الخلفاء لبني العباس وعليهم وقوف وفراشون برسم الخدمة ، ولولا ذلك لخربت ، وبلصقها محلة أبي حنيفة وفيها قبره .. » .

فهذان النصان ، فضلا عن غيرهما من النصوص والقرائن العديدة ، يدلان — بوضوح — على ان الميدان التي شغل ناحية منه قصر السيدة أم حبيب ، كان في محلة الرصافة القديمة ، التي هي بلصق محلة أبي حنيفة ، أي في نطاق الاعظمية اليوم ، وان قصر المهدي كان هناك ، وبلصقها ترب الخلفاء العباسيين . أما ما يعرف اليوم بالرصافة ، أسفل باب المعظم ، فلم تصل اليه العمارة الا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، بل ان الميدان الحديث ، قرب وزارة الدفاع (قلعة بغداد سابقا) لم يظهر الى الوجود الا في عهد متأخر للغاية ، وهو القرن التاسع الهجري (الخامس عشر للميلاد) ومن ثم فان أحدا من المؤرخين لم يقصده ، بأية حال ، عند الكلام على عمائر القرن الثاني الهجري .

وبناء على ما قدمناه ، فانه لا علاقة — على الاطلاق — بين الرصافة القديمة ، والرصافة الحديثة التي يشير اليها السهروردي ، ولا صلة بين جامع المهدي ، وجامع القلعة ،

ولا رابطة بين ميدان الرصافة ، وميدان قلعة بغداد ، وبالنتيجة ، فلا صلة من قريب او بعيد بين قصر ام حبيب ، وبين المدرسة العلية ، أو حتى القصر العباسي المجاور لها .

٢

وبعد مضي ستة عشر عاما بعد نشر الشيخ السهروردي لرأيه المتقدم نشر المرحوم الدكتور مصطفى جواد في مجلة « سومر » التي تصدرها مديرية الآثار العامة يومذاك (المجلد الثاني ١٩٤٦) بحثا مطولا بعنوان « عمارات القرن السادس الضخمة في بغداد » تناول فيه جملة من الدور والقصور والربط والمساجد القائمة ببغداد في أواخر العصر العباسي ، وكان مما تطرق اليه في بحثه ، تاريخ رباط الخدم الذي بناه مجاهد الدين بهروز الخادم مملوك السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي المتوفى سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، وذهب فيه الى القول بأن رباط الخدم كان في أرض المجلس النيابي الحالي ، أي البناية التي سكنها الملك فيصل الاول مدة ، وكانت قبل ذلك مدرسة للصنائع ، وكان فيها عدة قبور وعلى حسب ما ذكرنا كان قبر مجاهد الدين بهروز أحدها وقد أزيلت هذه القبور قبل عدة سنوات » .

وعند تحليلنا للادلة التي بنى عليها المرحوم الدكتور

جواد رأيه هذا ، وجدناه يعتمد ، بصفة وحيدة ، نصا تاريخيا أورده المؤرخ البغدادي محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ-١٢٤٥ م في كتابه المسمى «التاريخ المجدد لمدينة السلام» ، وهو في ترجمة الحسن بن عبدالله الرومي أحد زهاد بغداد في القرن السادس الهجري ، وقد جاء فيه انه سكن أعلى البلد نحو درب الخدم الى أن توفى ثامن شوال سنة ٥٩٩ هـ وصلى عليه بمدرسة الشيخ أبي النجيب عبدالقاهر السهروردي .. الخ ، فاستدل الدكتور جواد من قولم (أعلى البلد) ان هذا الدرب كان يقع في القسم الشمالي من بغداد الشرقية، ومن الصلاة على صاحب الترجمة في مدرسة الشيخ ابي النجيب (وهو موضع ما زال معروفا باسم المدرسة النجيبية ويقع قبالة نادي الضباط) على أن درب الخدم كان قريبا من المدرسة المذكورة ، وعلى هذا الاستدلال أقام فرضه بكون رباط الخدم هو ما انشئت في ارضه المدرسة العلية فمدرسة الصنائع فيما بعد على ما مر بنا منذ قليل .

ومن الواضح ان عبارة « أعلى البلد » الواردة في سيرة الزاهد البغدادي ، غير دقيقة في تحديد موضع رباط الخدم هذا ، لانها عبارة عامة تشمل ان اطلقت منطقة واسعة من بغداد الشرقية ، تشغلها اليوم مباني وزارة

الدفاع ، وما هو الى الجنوب منها حتى سراي بغداد القديم . ومع سعة هذا التحديد فان النص المتقدم لا يشير الى قرب درب الخدم من دجلة أو اتصاله به، بَلْهَ أن يكون الرباط المنسوب اليه واقعا عليه . ثم ان مسألة الصلاة على ساكن الرباط المذكور في مدرسة أبي النجيب لا تقف دليلا على موقعه منها ، لانه ربما كان في جنوبها (أي في ارض السراي) او شرقها (أي في محلة الميدان) أو في شمالها ، وقد يصلى على انسان في مكان، لشرف ذلك المكان وبركته ، لا لقربه منه في الموقع كما لا يخفى . أما قول الدكتور جواد انه كان تحت هذا الرباط نحو الجنوب جسر ، ورسمه اياه موضع الجسر في شرعة المدرسة العلية ، فهذا أمر بناه على ما افترضه أولا ، ولا يقوم دليلا على صحة الفرض طبعا .

٣

ان تحليل المصادر التي اعتمدها من كتب عن هذه المدرسة ومناقشة آرائهم ، دلتنا على انعدام صلة هذه المدرسة بالمنشآت التي افترضوا وجودها على أرضها ، وعايه فان مجال البحث في تحديد طبيعة المباني التي ورثتها المدرسة العلية يبقى مفتوحا للباحثين في خطط بغداد وتاريخها .

ولنعد الى شكل قصر الثقافة والفنون (وريث

المدرسة العلية) لنتأمل تصميمه ، وما يمكن أن يؤدي هذا التصميم من وظائف اجتماعية او ثقافية يستدل بها على هويته الاولى • وقد دلتنا دراسة تصميم القصر الحالي ، على أن تغييرا أساسيا لم يطرأ عليه منذ انشاء المدرسةالعلية في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) على أدنى تقدير ، صحيح ان بعض الاضافات قد غيرت من هذا التصميم منذ الغاء التدريسات فيها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) الا انه من الميسور تحديد أبرز هذه الاضافات وأوسعها، وهي قاعة المحاضرات الكبيرة التي تقع في القسم الشمالي الشرقي من المبنى ، اذ انها انشئت سنة ١٩٣٨ لتكون قاعة اجتماعات كبرى للنواب يوم اتخذ مجلسا للامة•

والسؤال الذي ينبغي أن يسأل هنا ، هو : هل ان هذا التصميم وضع للمدرسة العلية عند انشائها أول مرة ، أم انه تصميم ورثته المدرسة من مبنى قديم كان يحتل أرضها ، وان الامر لم يزد على اجراء تحوير محدود ليلائم وظائفها الجديدة ؟

وللاجابة على هذا السؤال ، قمنا بعقد مقارنة بين تصميم المدرسة الاساسي (بعد حذف الاضافة المشار اليها) وبين تصميمات منشأتين ثقافيتين بارزتين ترقيان الى أواخر العصر العباسي وهما : ـ

أ ـ القصر العباسي الذي يظن انه دار المسناة

الناصرية التي انشأها الخليفة العباسي الناصر لدين الله، في أواخر القرن السادس ، أو اوائل السابع للهجرة (١٢ و ١٣ م)[٥] ويقع الى الشمال من المدرسة العلية نفسها (الشكل ٢) •

ب ـ المدرسة المستنصرية التي أمر ببنائها الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٢٥هـ ـ ١٢٢٧ م ، وافتتحت سنة ٦٣١هـ ـ ١٢٣٣م (الشكل ٣)[٦] •

فتبينت لنا ، من خلال المقارنة ، ما يأتي : ـ

أولا ـ المداخل :

يقع مدخل المدرسة العلية في القسم الجنوبي منها (ش ١ رقم ١) أي من الطريق المتعامد مع دجلة ، بينما يقع المدخل في القصر العباسي من جهة النهر ، أي في القسم الغربي منه (ش٢ رقم ١) ولا يختلف المدخلان بشيء ، سوى ان مدخل العلية يتصل برواقها المقابل لبابها ،بينما يتصل مدخل القصر برواقه عن طريق عكفه في الجانب الايسر منه ، على طريقة المداخل المزورة التي شاع استخدامها في بعض مدارس وقصور تلك الحقبة ، ولا تنعقد المقارنة مع مدخل المستنصرية ، التي قامت على أساس تقابل الاواوين من جهاتها الاربع ، وأن يكون المدخل من احدى هذه الاواوين (ش٣ رقم ١) •

ثانيا : الادارة :

توجد الى يمين مدخل العلية حجرة معقودة (ش١ رقم ٢) نظنها كانت مخصصة لاغراض ادارية ، نظرا لاشراف الجالس فيها على حركة الداخلين الى المدرسة والخارجين منها ، وتماثل هذه الحجرة نظيرتها في القصر العباسي (ش٢ رقم ٢) ومن الراجح انها كانت مخصصة للغرض نفسه •

ثالثا : الرواق وحجرات المدرسين

يتصل مدخل العلية برواق طويل معقود (ش١رقم٣) وتقع عليه من جهة اليمين حجرتان طوليتان (ش ١ الارقام ٤ و ٥) نظن انهما كانتا مخصصتين لاقامة المدرسين (لان غرف الطلبة كانت تقع ـ بحسب القاعدة السائدة في الطابق الاعلى) وهذا الامر نجد مثيله في القصر العباسي أيضا (ش ٢ الرقم ٧) مع فرق واحد ، هو ان حجرات القصر أصغر حجما ، ونعتقد ان هذا هو الشكل الذي كانت عليه حجرات العلية أيضا ، الا ان تحويرا أجري عليها ، في وقت لاحق ، فأزيلت بعض الجدران التي تفصل بينها لتبدو أكثر طولا وسعة • وتشبه هذه الحجرات ، في تصميمها ، ما هو الحال عليه

في المستنصرية ، عدا أمر واحد ، هو ان أبوابها لا تنفتح على رواق ، وانما على ساحة المدرسة مباشرة ، وذلك لان رواق المدرسة يمتد خلف الحجرات لا أمامها (ش٣رقم٢) وهو امر فرضه موقع المدخل المختلف كما مر بنا من قبل •

رابعا : القاعات :

تقع وراء حجرات المدرسة العلية ، قاعات ذات سعة (ش١ الارقام ٧ و ٨ و ٩) ومن الراجح ان احداها كانت تستخدم مكانا خاصا بالتدريس في فصل الشتاء ، حيث لا تصلح ساحة المدرسة لهذا الغرض • بينما تستغل (القاعة ٧) لحفظ الكتب ونسخها ، اذ اننا نعلم بوجود خزانة كتب كبيرة في المدرسة • وتشبه هذه القاعات مثيلاتها في القصر العباسي تماما (ش٢ الارقام ٣و٤و٥) ومن المرجح ان القاعتين (ش٢ الارقام ٣ و ٤) كانتا تستغلان للغرض المذكور ، ويلاحظ ان ثمة بابا يصل بينهما ، مثلما هو الحال في العلية ، وفي هذه الحال ، يكون حفظ الكتب في احدى القاعتين، بينما يجري نسخ الكتب ومطالعتها في القاعة المجاورة• وفي وسعنا ان نلحظ القاعات نفسها في المستنصرية أيضا (ش٣ الارقام٣ـ٩) والقاعتان (٤و٥) متصلتان بباب، كما هو الحال فيما تقدم

مما يبعث الى الظن انهما كانا يحتويان على خزانة الكتب الشهيرة في المدرسة ، الا أننا نجد ثمة حجرة صغيرة مفردة من القاعة ٤ ، ومن المحتمل انها كانت مخصصة لناظر الخزانة ، أو متوليها .

الاضلاع الاخرى :

يوجد في المدرسة ضلعان ، يتصلان بالضلع الشرقية التي وصلت الينا تفاصيلها الآن ، الاول جنوبي ، يتألف من قاعة طولية معقودة تنفتح أبوابها على رواق يتصل برواق المدرسة المتقدم (ش ١ الرقم ٦) ويتألف الشمالي من قاعة أخرى على الهيئة نفسها (ش ١ الرقم ١٠)وهاتان القاعتان تكونتا من دمج عدد من الحجرات الصغيرة بعضها ، ومن الراجح انها كانت مخصصة بسكنى المدرسين وموظفي المدرسة ، وربما بعض الطلبة أيضا . ويشبه تخطيط هذين الضلعين وشكلهما ووظيفتيهما مثيليهما في القصر العباسي (ش ٢ الرقم ٦ و ٨)والمدرسة المستنصرية (ش ٣ ، رقم ١١ و ١٢) الى حد التطابق الكامل .

الاضلاع الغربية الشاطئية

على انه تبقى ملاحظة مهمة عند المقارنة بين أبنية هذه المدارس ، وهي ان للمدرسة العلية اضلاعا ثلاثة ،

تنفتح من جهة الغرب على دجلة ، أما القصر العباسي والمستنصرية فكان مبنى كل منهما يتألف من أربعة اضلاع متقابلة ، على الرغم من وقوعهما المباشر على شاطيء دجلة، وهذا ما يدفعنا الى القول باحتمال وجود ضلع رابع للمدرسة العلية ، من غربيها ، خاصة واننا نلاحظ انطول الضلع الشمالي (رقم١٠) ينقص عن طول الضلع الجنوبي (رقم ٦) ولو كان هذان الضلعان قد بنيا من الاساس على وضعهما الحالي ، لجاءت أطوالهما موحدة ومتناظرة، ومن المحتمل ان زوال الضلع الغربي في عصر لاحق ، أزال معه جزءا من الضلع الشمالي ، فبدت مغايرة لما يقابلها طولا . ويمكننا أن نضع القرنين التاسع والعاشر للهجرة (١٥ و ١٦م) تاريخا لزوال هذا الضلع ، نظرا الى أن الضرورات العسكرية قد الجأت حكام بغداد في هذه الحقبة الى تحصين جانبها المطل على دجلة بسور عال ذي بروج ، ولقد وردت صورة هذا السور ، أول مرة ، في أواخر القرن التاسع الهجري ، ضمن صورة عامة لبغداد رسمها نصوح المطراقي مرافق السلطان سليمان القانوني أثناء احتلاله المدينة سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م[٧] واستمر وجوده حتى النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) . ويحق لنا ان نتساءل هنا: بأي آجر بني هذا السور الحصين ، في عهد اتسم بالتخلف

والفوضى وتسلط الغزاة ؟ لا شـك في انه بني بآجر المباني الشاطئية المجاورة ! وهذا ما يفسر لنا اختفـاء مجموعة القصور الفخمة التي كانت تطل على شـاطيء دجلة من أرض دار الخلافة العباسية(جنوب شريعة شارع السموءل الحالي) ويفسر أيضا الاندثار الكامل للضلع الغربي من القصر العباسي ، المجاور للمدرسة العلية •

المسجد :

ونعتقد ان الضلع الغربي للمبنى ، بشكله القديم (أي قبل تحوله الى المدرسة العلية) كانت تحتوي على مسجد ، أو مصلى ، مثله في ذلك مثل القصر العباسي والمدرسة المستنصرية ، التي كشفت أعمال التحري والصيانة عن وجود مسجد في كل من ضلعيهما الغربيين، لاتفاق جدار هذا الضلع مع اتجاه القبلة،وغني عن القول ان هذا المسجد زال بزوال الضلع الذي يحتويه في الحقبة التي حددناها من قبل •

وبما ان بعض من كتب عن المدرسة العلية أشار الى احتوائها على مصلى تقام فيه الصلوات والجماعات(٨)، فان في وسعنا القول ان مسجدا جديدا اضيف الى المدرسة ، عند تعميرها مجددا سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م ، وعلى الرغم من عدم وجود هذا المسجد أو المصلى في هذا

المبنى اليوم ، نظرا الى تبدل وظيفته مرات عديدة ، فان من غير العسير الاهتداء اليه من تحديد جدار قبلته ، وعلى هذا الاساس ، لا نشك في ان مصلاها كان يشغل القاعة (ش١ الرقم ١١) منها ، فجدار هذه القاعة ، من جهة النهر ، مضبوط القبلة تماما ، وهو يتوسط ساحة المدرسة ، وعلى يمين مدخله ويسراه حجرتان صغيرتان من المحتمل انهما كانتا تستغلان لخدمة المسجد • وعند مقارنة مخطط المدرسة بمخطط المدرسة المستنصرية ، نجد ان الايوان المسمى في الاخيرة بايوان الحنفية (ش ٣ الرقم ١٣) يقع في نفس المكان ، الذي يشغله في المدرسة العلية ، مصلاها أو مسجدها المذكور ، فيكون مصلى الاخيرة مجرد تطوير لوظيفة ذلك الايوان ،نظرا لعدم اتفاق قبلتها مع جدار أية ضلع آخر فيها، بعد زوال الضلع الغربي ، بخلاف الحال في المستنصرية •

ان علاقة العلية بمصلاها او مسجدها لا تتفق مع تقاليد عمارة المدارس العراقية في العصر العثماني ، لان مدارس العصر الاخير (ويفترض أن تكون العلية احداها) كانت تلحق بالمساجد ، بوصفها « جهة » تابعة لها ، أو مضافة اليها ، أما مدارس العصر العباسي ، فانها كانت بخلافها ، مستقلة عن المسجد ، غير ملحقة به ، ولكنها تضم في جنباتها مسجدها الخاص بها ، كما هو الحال في المستنصرية • وحتى في المدرسة المرجانيـة

المبنية بعدها بأكثر من قرن •

٤

نخرج من هذه المقارنة ، الى القول بأن المدرسة العلية لا تمت الى عصرها الذي اكتسبت فيه اسمها ، بأدنى صلة ، وانما هي ـ من حيث الفكرة والوظيفة والتخطيط ـ مدرسة عباسية عريقة ، بنيت على الطراز الذي كانت تبنى عليه مدارس بغداد الفخمة في العصر العباسي الاخير (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) وهذا هو ما دفع الشيخ محمد صالح السهروردي الى القول بأن علي باشا جعل مدرسته «على الطراز القديم أعني جعل لها أواوين وغرفا ذات طابقين يسكنها طلاب العلم والادب » (جريدة العراق ١ تموز ١٩٣٠) وفي الواقع فان هذا الطراز القديم لم يخترعه علي باشا اختيارا ، وانما هو طراز المدرسة القديمة ، أبقى عليه ، ولم يحور فيه الا قليلا •

على ان تقرير حقيقة كهذه ، يوجب علينا البحث عن هوية تلك المدرسة ، في ضوء النصوص الخططية التي وصلتنا من مصادر العصر المذكور •

تفيد تلك النصوص ان ارض المدرسة العلية وما جاورها ، كانت تعد ، ابان العصر العباسي ، من ضمن محلة سوق الثلاثاء ، احدى محلات بغداد الرئيسة ،

وتشمل المنطقة الممتدة من باب المعظم حتى محلة باب الاغا في الوقت الحاضر • وانه كان في هذه المحلة جسر عتيق يصل بينها وبين مصب نهر عيسى في الجانب الغربي ، أي في شريعة جامع قمرية حاليا ، فاذا مددنا خطا مستقيما بين الجامع المذكور والجانب الشرقي التقى هناك بشريعة الميدان التي تطل عليها المدرسة العلية ، فهذا الجسر اذن هو أحد المعالم البارزة التي يمكن الاستدلال بها عند البحث عن هوية المدرسة •

كما تفيدنا تلك النصوص ان رباطا للصوفية ، ومدرسة بناهما الشيخ الزاهد ابي النجيب عبدالقاهر السهروردي البكري (المتوفى سنة ٥٦٣ هـ/١١٦٧م) على شاطيء دجلة ، وفي احدهما كان قبره ، والقبر معروف الموضع حتى اليوم ، ويقع في مكان كان يعرف حتى وقت قريب بالمدرسة النجيبية نسبة الى دفينه المذكور ، وهو يقابل نادي الضباط الحالي ، لا يفصل بينهما سوى الطريق ، فالرباط والمدرسة كانا يتصلان اذن بشاطيء النهر مباشرة ، لورود النص بذلك[٩] وهو ما يعني ان القسم الاعلى من هذا النادي (المجاور لشريعة الميدان) كان داخلا في نطاق المؤسستين المذكورتين ، وهو أمر يمكن الاستدلال به أيضا ، في تحديدنا هوية المدرسة القديمة •

ولقد بحثنا في أخبار مدارس بغداد المشيدة في العصر العباسي وما بعده بقليل ، عن مدرسة يتفق وصفها وموقعها مع فخامة مخطط مبنى المدرسة العلية ،فوجدنا ان الامير علاءالدين علي بن عبدالمؤمن المعروف بالسكرجي ، اخي الامير شمس الدين السكرجي والي العراق من ٦٩٣ الى ٦٩٤هـ/١٢٩٣–١٢٩٤م ، قد أمر ببناء مدرسة ، وصفت بالفخامة والجمال ، في موقع قريب جدا مما قدمنا من معالم خططية ، أعني الجسر العتيق ومدرسة ابي النجيب السهروردي . قال المؤرخ عبدالرزاق بن الفوطي في ترجمة مؤسسها المذكور ،وقد عاصره والتقى به : « وعلاءالدين المذكور هو الذي سمت همته الى عمل المدرسة العلائية بحضرة الجسر العتيق بشرقي مدينة السلام ، وحضر القاضي بدرالدين محمدبن علي بن ملاق الرقي ، ومعه جماعة من الفقهاء والرؤساء ، وهي في موضع حسن ، رأيتها ، وهي جميلة البناء ، شاهقة الارجاء .. وكان وضع أساس المدرسة العلائية يوم الاحد رابع عشرين رجب سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، ووضع الملبن على الباب في سابع شعبان ، وذبحوا بقرة وتصدقوا بلحمها على الفقراء »(١٠) .

وكان المرحوم الدكتور مصطفى جواد قد ذهب، في بحثه المعنون « عمارات القرن السادس الضخمة »

المشار اليه سابقا ، الى أن المدرسة العلائية كانت تقع « في أرض دار الضباط الحالية . وهذه الارض هي المحاذية لتربة الشيخ ابي النجيب السهروردي القائمة حتى اليوم» وانها الى الجنوب من الجسر العتيق ، وهكذا رسم موقعها في خارطته لبغداد في القرنين السادس والسابع للهجرة المنشورة ضمن بحثه نفسه . ونرى انه فعل ذلك لتصوره ان البناية التي تقع الى الشمال من الجسر المذكور ، هي رباط الخدم، الذي مرت الاشارة اليه دون غيره . ولقد لاحظنا ان المرحوم جواد اعتمد في استنتاج رأيه على ما نقله من ترجمة عزالدين مودودبن عبدالمؤمن، التي اوردها ابن الفوطي أيضا ، اذ جاء في هذا النقل ما نصه : « هو أخو الامير علاءالدين علي صاحب المدرسة الشاطئية ، فقد بنيت بحضرته وكانت راكبة على مدرسة الشيخ ضياء الدين ابي النجيب عبدالقاهر السهروردي» فالقول بأن المدرسة الشاطئية كانت راكبة على مدرسة أبي النجيب ، يعني انها متصلة بها ، ملاصقة لها . وعلى هذا الاساس قرر ـ رحمه الله ـ انها تقع الى جنوب الجسر ، لا شماله . على اننا ، عند رجوعنا الى الاصل الذي نقل منه هذه العبارة ، لاحظنا انها تختلف عما نقله اختلافا كبيرا ، فقد جاء في الاصل « المدرسة الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة الشيخ

ضياء الدين أبي النجيب عبدالقاهر السهروردي»(١١) ومنه يتضح ان المدرسة العلائية لم تكن راكبة على مدرسة ابي النجيب ، وانما راكبة على كرسي الجسر ، أي مشرفة على قاعدته ، وان هذا الكرسي كان محاذيا في الوقت ذاته لمدرسة أبي النجيب(١٢) ، ومعنى هذا ان كرسي الجسر العتيق والطريق المفضي اليه (وهو اليوم شريعة الميدان) كان يفصل بين المدرستين ، العلائية في شماله ، وابي النجيب في جنوبه ، وان كان كلاهما يطل عليه ، وبما انه ليس ثمة مبنى يشغل الارض الواقعة الى شمال شريعة الميدان ، سوى المدرسة العلية ، ترجح لنا ان هذه المدرسة انما بنيت على اسس المدرسة العلائية الشاطئية ، وعلى وفق مخططها القديم نفسه .

- ٥ -

واذا كنا قد توصلنا الى هذا الرأي ، توجب علينا ان نتسائل : ما الذي جرى للمدرسة العلائية بعد أن ثبت لنا ابن الفوطي تاريخ الشروع ببنائها سنة ٦٩٤هـ ؟

ونقول : ان ظهور مؤسسة جديدة الى جوار المدرسة ، هي قلعة بغداد (وزارة الدفاع فيما بعد) كان سببا رئيسا في تغيير وظائف المنشآت الثقافية المجاورة الى مجالات عسكرية تلائم التحول الجديد، والنصوص التي أوردها المؤرخ عبدالله بن فتح الله الغياث البغدادي،

في تاريخه المعروف بتاريخ الغياثي ، والذي ألفه في نهاية القرن التاسع الهجري (١٥م) تؤكد ان قلعة كبيرة قد برزت الى الشمال من الجسر العتيق ، وهذه هي أول مرة يرد فيها ذكر لقلعة في هذا المكان . قال في حوادث سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م « وساقوا على الجسر ، وكان الجسر منصوبا تحت القلعة ، فأخذوا الجسر وساروا عليه الى أن وصلوا الى كرسي الجسر»(١٣) . ومعنى هذا، انه لم يكن في هذه الحقبة، من المنشآت ما يفصل بين القلعة والجسر الذي كان يقع في شريعة الميدان كما ذكرنا ، وهو امر يدل على دخول جميع المنشآت الفخمة التي ترددت الاشارة اليها في العصر العباسي في نطاق هذه القلعة ومرافقها ، ومن المنطقي ، أن تكون المدرسة العلائية قد دخلت أيضا ضمن سور القلعة في تلك الحقبة ، ومن المحتمل ان بعض مبانيها كانت تستغل كبرج لحراسة الجسر المجاور ، اذ كان من المعتاد ان ينشأ عند جسر المدينة برج عال لحراسته واغلاقه اذا استجد ما يقتضي ذلك .

ولنا أن نتصور ان نقل الجسر من موضعه ، في القرن التاسع الهجري ، أو الذي يليه (القرن ١٥ أو ١٦ م) الى مكانه الجديد عند التكية المولوية (جامع الاصفية فيما بعد) قد أفقد هذا البرج مهمته ، فتحول الى مخازن للسلاح ، يحملنا الى هذا الظن ما نملكه من معلومات

عن القصر العباسي (دار المسناة الناصرية) المجاور ، فقد تحول الى مخزن للعتاد المستخدم من قبل قوات بغداد آنذاك • ويذكر نيبور الذي زار بغداد سنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٠ م ان مهمة القلعة قد اقتصرت ـ على أيامه ـ على أن تكون دارا للصناعة ومخزنا للبارود ، ولم يكن يقيم فيها الا حرس من الانكشارية • وكان في وسع أي شخص ان يدخلها بدون صعوبة تذكر(١٤) • ومعنى هذا ان أهمية القلعة ، بمرافقها ، أخذت بالتضاؤل منذ القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) وهو أمر كان ينسجم مع تحول مظاهر الحكم في بغداد ذاتها الى الشكل المدني ، وترك الولاة الاقامة في القلعة ليسكنوا في السراي ، بقصوره الفخمة ، وحدائقه الغناء ، وجوه المدني البعيد عن المظاهر العسكرية السابقة •

وتوافقا مع هذا التطور الجديد ، عمد غير واحد من الولاة والاعيان في بغداد الى احياء بعض المنشآت الثقافية التي كانت تزخر بها المنطقة من قبل ، واعادة وقف الاوقاف عليها ، وبناء منشآت أخرى قربها ولا نشك في ان قيام والي بغداد علي باشا باحياء المدرسة العلائية الشاطئية كان منسجما مع ذلك التطور الذي أخذ يعم الحياة العمرانية في بغداد يومذاك ، وكانت الحياة الثقافية نفسها قد شهدت منذ اوائل القرن الثاني عشر (١٨م)

اتجاها قويا نحو تأسيس المدارس الدينية ووقف الاوقاف للانفاق عليها وادامتها •

مؤسس المدرسة العلية

وشخصية مؤسس المدرسة (أو بالحري مجددها) علي باشا تستحق منا وقفة لما حفلت به من جوانب متعددة ، رغم قصر مدة حكمه ، فلقد بدأ حياته ضابطا في جيش بغداد ، وتدرج في المناصب العسكرية ثم الادارية حتى اختير واليا على بغداد في اول المحرم سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م ، وعرف في أثناء ولايته بالحزم وأخذه الامور وبخاصة الامنية ، بالقوة ، فقد سعى الى فرض نفوذ الدولة في نواحي الحلة والبصرة والحسكة (الديوانية) وفي نواحي اربل وكوبري وبعض المناطق الحدودية ، وكان يخرج على رأس قواته الحسنة التجهيز والاعداد ليتولى توطيد الامن حتى ذاعت شهرته ونال تقدير المسؤولين ، فدفع ذلك منافسيه الى العمل من أجل التخلص منه ، فدبروا مؤامرة لاغتياله ، لكنها فشلت ، ثم أعدوا انقلابا عسكريا حقيقيا انتهى بخروجه من بغداد مؤقتا ، ثم عودته اليها بعد أن القيت اليه الوعود بلزوم الطاعة ، الا أن منافسيه ، تمكنوا ، هذه المرة ، من القبض عليه وحبسوه في القلعة ، وفيها قتل في أواسط سنة

١١٧٧هـ / ١٧٦٣م ليدفن جثمانه في باحة مدرسته العلية . وقد وصفه بعض معاصريه بأنه كان سخي الطبع، سليم الاخلاق ، مقبول الخصال ، صاحب انصاف وعدل، وكل الاهلين راضون عنه ، يلهجون بذكره ، ولذا فقد عرف هذا الوالي ، فيما بعد ، بعلي باشا الشهيد[١٥].

افتتاح المدرسة العلية :

لم يرد الينا خبر افتتاح المدرسة العلية في تواريخ بغداد المعاصرة لها ، ولكننا نعلم ان افتتاحها جرى سنة ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢م ، استنادا الى ما كان مثبتا عليها من كتابة نقلها لنا بعض من رآها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ثم زالت فيما بعد، ومن المعقول أن يكون الشروع بتجديد مبانيها القديمة وتأثيثها واجراء بعض التحويرات اللازمة قد حدث منذ مفتتح السنة المذكورة ، ليستغرق بضعة شهور . ويذكر المرحوم عبدالحميد عبادة في كتابه (العقد اللامع في المساجد والجوامع) ان علي باشا أمر بتأسيسها سنة ١١٧٥هـ/١٧٦١م ، مع اننا نعلم انه باشر حكمه في محرم من السنة التالية . وقد وهم المرحوم الشيخ محمود شكري الآلوسي في كتابه (مساجد بغداد) في تحديد زمن تعمير المدرسة ، فقال ما نصه « انشأها علي باشا الشهيد وكان والي بغداد ، تولى حكومتها خمس سنوات

من سنة ١٢١٧ الى سنة ١٢٢١ ثم قام عليه الموالي فقتلوه »[١٦] هذا مع انه نقل نص الكتابة التي كانت على جدار المدرسة والناطقة بتاريخ انشائها وهو سنة ١١٧٦هـ . ويظهر ان الذي حمله على هذا القول تشابه ترجمة مؤسسها علي باشا ، وترجمة وال آخر ، حكم بغداد بعد أربعين عاما ، وحمل اسمه ، ولقي مصيره نفسه ، ودفن مثل سابقه ، في مدرسة بالقرب من السراي[١٧] . فما أغربه من تشابه ، وما أعجبه من مصير .

ولنا أن نفهم من تلك الكتابة المهمة اهمية المدرسة العلمية وفخامة بنائها ، فقد ورد فيها ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . قد أمر بانشاء هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية وتعليم الفنون العقلية والنقلية ، عالم الوزراء وأمير العلماء محب العلم واهله ، لتقواه وفضله ، الوزير الاعظم ، والامير الافخم والي ايالة العراق ، ومدبر امورها على الاطلاق ، ابو المعالي والمحاسن ، علي باشا والي بغداد، أناله الله تعالى من الخير كل مراد ، ولما تشيدمنها البنيان، وقامت منها الاركان ، حتى اصبحت كأنها روضة من رياض الجنان ، وسطعت عليها انوار العلم والعرفان ،

أرخنا كمالها سنة ١١٧٦ من الهجرة النبوية » .

ومن المؤسف اننا لا نملك وصفا وافيا لهذه المدرسة، عند افتتاحها وان كان لنا ان نتصور فخامة بنائها ،وروعة ريازتها ، من امور عدة ، منها انها ورثت بناية مدرسة كبيرة من المدارس المشيدة على الطراز العباسي ، ولذا فان مساحتها الواسعة ، كانت غير مألوفة بين مدارس العصر العثماني ، ولم نعلم ان مدرسة ، من مدارس هذا العصر ، قاربتها سعة وضخامة ، وهذه السعة هي التي شجعت مسؤولين تالين ، على اتخاذها مباءة لمؤسسات مختلفة،حتى انتهت الى وضعها الحالي قصرا كبيرا للثقافة والفنون ، ومنها ان مؤسسها هو والي بغداد نفسه ، وان لموقعها اهمية فريدة ، لكونه بين قلعة بغداد ودار الحكم (السراي وملحقاته) على شاطىء دجلة ، وهو الموقع الذي دعا كثيرا من الولاة والحكام الى اتخاذها مؤئلا لتلك المؤسسات المتعاقبة .

ويفهم من عبارة اوردها المرحوم عبدالحميد عبادة ان الكتابة التي سجلها ، والتي اوردنا نصها قبل قليل، كانت محررة « على شامخ جدرانها، ومرتفع كيانها» (١٨) مما دل على فخامة المدرسة وجمال مظهرها وهذه العبارة تذكرنا بما وصفت المدرسة العلائية الشاطئية ، من انها « جميلة البناء شاهقة الارجاء » .

ويزيدنا المرحوم محمود شكري الالوسي ايضاحا،

فيقول انه « كان فيها مصلى ، ومحل واسع للتدريس ، وحجر في الطبقة العليا والسفلى لطلبة العلم وسكنهم ، وكانت تقام فيها الصلوات والجماعات ، وفيها مدرس وخطيب وامام وخدم » فيظهر من هذا النص انه كان في المدرسة قسم داخلي ـ باصطلاح أهل هذا الزمان ـ لسكنى الطلبة ، ومسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة ، ومن ثم فان الصلاة لا تقتصر على طلبة المدرسة وحدهم، وانما على سواهم من سكان المناطق المجاورة ، فلاعجب ان عدت هذه المدرسة الاولى بين مدارس بغداد مدة قرن كامل من الزمن ، وخصت ادارتها بأن تكون تحت اشراف رئيس العلماء ببغداد .

وانفرد الشيخ محمد صالح السهروردي ، في مقالته التي سبقت الاشارة اليها ، بايراد تفاصيل عن تعمير علي باشا لمدرسته ، لكنها تقوم على أساس ما كان يذهب اليه من ان الوالي المذكور بناها على انقاض قصر ام حبيب العباسية ، وهي فكرة لا صحة لها مطلقا ، كما مر بنا من قبل .

فمن تلك التفاصيل ، قوله ان علي باشا عمر مدرسته بأحجار القصر المذكور ، لا سيما حجر منظرته التي كانت متنزه الامراء والاميرات ، وانه نقل اليها كل ما كان في هذا القصر من حجر وخشب هندي (ساج) وحياض ذات

شاذروانات، منها الحوض الكبير الذي كان في الحديقة، والذي كان مصيره التلف بسبب ما أصابه من تصدع حين النقل وعدم الاعتناء وبسبب ما اصابه من حريق سابقا ، وانه وضع في مصلاه ميزا (لعله يريد منضدة) انيقا من الرخام المحلى بخطوط هندسية ونقوش ، الى غير ذلك من تفاصيل لم يذكر لها مصدرا ، ونعتقد ان لخياله ــ رحمه الله ــ فيها نصيبا كبيرا[٢٠] .

اوقاف المدرسة :

لا شك في ان ادامة مدرسة كهذه ، كانت تتطلب أموالا جمة تنفق على صيانتها ، ودفع رواتب مدرسيها وسائر موظفيها ، ومخصصات طلبتها ونفقاتهم ، الا اننا لا نملك معلومات عما أوقفه عليها مؤسسها علي باشا لهذا الغرض . على اننا نعلم ان للمدرسة اوقافا واسعة اوقفها ولاة تالون ، منها بعض الاملاك في الحلة قرب البستان المعروفة بالخشخشية والعائدة الى والي بغداد داود باشا (١٢٣٢–١٢٤٧هـ / ١٨١٦–١٨٣١م) .ومنها مساحة من الارض ، بين مقبرة الامام أبي حنيفة ونهر دجلة، ، تبلغ نحو ٧٦ الف ذراع سلطاني مربع . وذكر عبدالحميد عبادة ، ان الذي اوقفها هو الوالي حسين باشا السلحدار ، وهذا وهم لان الاخير تولى ولاية

بغداد بين سنتي ١٠٨٢هـ و ١٠٨٥ (١٦٧١–١٦٧٤م) أي قبل افتتاح المدرسة العلية بمدة طويلة ، تزيد على قرن كامل ، ونرجح انه أوقف هذه الارض على مشروعه الكبير الذي كان يأخذ مياهه من دجلة عند شرعة الميدان، بواسطة ناعور مثبت باتصال المدرسة نفسها ، وكان هذا المشروع يمد بالماء عددا من السقايات في شمالي المدينة، حتى ينتهي عند جامع الشيخ عمر السهروردي في شرقي بغداد[٢١] . وهذه الارض الموقوفة هي التي استأجرها، في منتصف القرن الثالث عشر (١٩م) والي بغداد محمد نجيب باشا ، وعرفها أهالي الاعظمية منذ ذلك الحين بكرادة نجيب باشا[٢٢] ، وقد زالت هذه الكرادة منذ حين من الدهر .

مدرسو المدرسة :

ان مدرسة كانت تعد اولى مدارس مدينة السلام، لابد من أن تكون موئلا لابرز علمائها وأشهرهم ، على اننا لا نملك قائمة باولئك العلماء من الذين تولوا التدريس فيها،ومن الذين عرفناهم : العلامة المفتي محمد أمين بن محمد صالح الطبقجلي الحموي البغدادي المتوفى سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م ، والعلامة عبدالقادر المارديني المتوفى سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م ، والعلامة المفتي محمد

فيضي الزهاوي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ، وكل منهم كان عالما كبيرا ، ومفتيا شهيرا ، ومدرسا قديرا ، رحمهم الله تعالى(٢٣) .

دفينو المدرسة :

ولابد من الاشارة هنا الى أن ارض المدرسة العلية احتوت على قبور العلماء والصالحين ، لكنها اندرست منذ عهد طويل ، فلم تعرف اسماؤهم ، ومن الراجح ان اندراسها كان بسبب قيام والي بغداد مدحت باشا بتجديد مبنى المدرسة وصيانته سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م . وأول من تناهى الينا خبر دفنه في هذه المدرسة ، مؤسسها علي باشا ، فقد مر بنا انه قتل في بعض مباني القلعة ، وجيء بجثمانه اليها ليوارى الثرى فيها .

ومن دفن في أرضها أيضا ، كتخدا والي بغداد (نائبه ومساعده) محمد أسعد افندي النائب ، وكان قد اغتيل في محلة الميدان في ٢٧ رمضان سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م ، فاحضر جثمانه الى المدرسة حيث غسل وكفن ودفن .

وقد صرح عباده بأن هذه القبور كانت تقع في فناء أرض المدرسة، أي في ساحتها المطلة على دجلة(٢٤) ،وهي اليوم حدائق قصر الثقافة والفنون .

مكتبة المدرسة :

احتوت المدرسة العلية ، فيما احتوت ، على خزانة كتب نفيسة لسد احتياجات طلبتها ومدرسيها من مصادر العلم والثقافة ، ولقد قدر عدد كتب هذه الخزانة بعدة آلاف ، وقفنا منها على عناوين ستين كتابا خطيا ، في ثبت احتوى قوائم بمحتويات بعض المكتبات الموقوفة ببغداد في القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) جمعه السيد نعمان خيرالله الآلوسي المتوفى سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م . وتتوزع هذه الكتب على موضوعات العلوم الدينية والادبية واللغوية والتاريخ والجغرافيا والعلوم البحتة ، فمن الدواوين الشعرية نذكر على سبيل المثال : ديوان ابن بكتاش في مدائح والي بغداد سعيد باشا ، وديوان ابي فراس الحمداني ، وديوان ابن الازري ، وديوان ابن النحاس،وديوان السيد عبدالله الحلي،وديوان الحويزي، وديوان صفي الدين الحلي ، وديوان الشيخ جعفر البحراني وديوان علي بن حسن الاعرج،وديوان الصبابة. ومن كتب اللغة نذكر : كشف اللثام عن التورية والاستخدام لابن حجة ، وعجالة الراكب في مراجعة القاموس ، وكتاب الضرائر ، وكتاب الاعجاز للجاحظ، وجمهرة اللغة لابن دريد . ومن كتب التاريخ نذكر :

عمدة البيان في تصاريف الزمان لياسين بن خير الله العمري، والدرة المضية في أخبار مصر والقاهرة المعزية ، وذيل الشقائق النعمانية لعلي افندي ، ومقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني ، وزهرة البساتين فيمن دفن بمصر من المحدثين • ومن كتب الجغرافيا والرحلات، نذكر : كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري ، وغرائب الاغتراب لابي الثناء الآلوسي، ورحلة الشتاء والصيف لمحمد كبريت المدني ، وغير ذلك كثير[٢٥] •

ومن المؤسف ان اخبار هذه الخزانة النفيسة ضاعت بعد توقف التدريسات في المدرسة العلية نفسها ، وآخر من أشار اليها ، هو السيد محمود شكري الآلوسي ، اذ قال واصفا ما قام به مدحت باشا عند تحويله المدرسة الى أخرى للصنائع « ونقل ما كان فيها من الكتب الى محل آخر »[٢٦] ولكنه سكت عن تسمية هذا المحل ، ومن ثم تبدد آخر أمل بمعرفة مصير الكتب وما آلت اليه• وقد ذكر الشيخ محمد صالح السهروردي ، ان مدحت باشا فرق مكتبة المدرسة الكبيرة على مكتبة مدرسة سليمان باشا (يريد المدرسة السليمانية القريبة منها) وغيرها[٢٧] ، ولكننا لم نعثر في اثناء اشتغالنا بفهرسة المخطوطات وتتبع فهارس خزائن بغداد الخطية ، على

مخطوط واحد يحمل اسم المدرسة العلية ، بل اننا تصفحنا معظم مخطوطات المكتبة السليمانية التي انتقلت الى مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد علنا نجد بينها ما يحمل اسمها ، فلم نعثر على بغيتنا ، مما دل على ان أيا من محتويات خزانة العلية لم يصل الى زماننا هذا، وانها فقدت — وما اكثر ما فقد من تراثنا المجيد — في زمان مضى •

وكان أحد ادباء بغداد ، وهو السيد محمد آل جميل ، قد أشار في مقالة له نشرها في جريدة الزوراء البغدادية بتاريخ ١٢ شباط ١٢٨٧ رومية/١٨٨٧ م الى ما كانت تحفل به خزانة المدرسة العلية من كتب نفيسة يناهز عددها عدة آلاف ، ونعى ما آل اليه مصيرها في زمانه ، مع انه لم تمض على نقل الكتب الى محل آخر — على حد تعبير الالوسي — الا نحو سبع سنوات • فنستغرب كيف فقدت على الآلاف المؤلفة من الكتب خلال هذه المدة القصيرة ، وأي محل هذا الذي وضعت فيه ، والى أية أيدي « امينة » اودعت • قال « فمن جملة ما يقتضي ان يصير معلوما لديكم ان احدى هذه المدارس المعتبرة في بلدتنا ، لا بل الاولى منها ، مشهورة بالمدرسة العلية ، وان هذه المدرسة كانت قديما تحت ادارة رئيس العلماء ، ويوجد في كتبخاناتها آلاف من الكتب الخزنوية

القيمة ، وبينما كان هذا الحال مشاهدا بنظر تحقيق كل واحد ، واذا من عشر سنين ، فقدت تلك الكتب النفيسة ، ولا يعلم بيد من دخلت »

مصير المدرسة العلية

استمر التدريس قائما في المدرسة العلية ، على النحو الذي أراده لها مؤسسها ، مدة مائة واحد عشر عاما قمريا (١٠٩ عاما شمسيا) خرّجت فيها ، ولا ريب أجيالا من العلماء الذين تولوا مناصب علمية وشرعية مختلفة، وكان لهم دور في توجيه الثقافة خلالها في العراق مدة غير قصيرة من الزمن .

ومثلما فعل علي باشا من قبل ، فعل والي بغداد مدحت باشا بعده بأكثر من قرن ، وبالتحديد في سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧١م حين اختار ان يحور مبنى المدرسة ووظيفتها لتتحول الى مدرسة للصنائع ، هي الاولى من نوعها في العراق يومذاك . ويذكر الشيخ محمود شكري الآلوسي ان مدحت غيّر هيئة المدرسة « وهدم عمارتها وعمرها على طراز آخر »[٢٨] . وقال الشيخ محمد صالح السهروردي انه « استعمل فيها معول الهدم والتخريب فغيرها تماما الى مدرسة الصنائع ودارا للطباعة »[٢٩] وقيل ان مدحت استعمل لبنائها طابوق سور بغداد

الشرقية ، هذا بينما يؤكد مخطط المدرسة انها ليست الا المدرسة العلية نفسها بشيء يسير من التحوير والتجديد، كما تؤكد ذلك أيضا المعلومات التي وردت في احد التقارير الفنية عند الكشف على بناية المدرسة ، اذ جاء فيها ان التحويرات التي أجراها مدحت لم تكن تتجاوز هدم ثلاث حجرات ، تقع في الجهة الشمالية الشرقية ، واجراء صيانة شاملة ، واضافة بعض البنايات، منها القاعة الكبرى[٣١] مع ان هذه القاعة لم تستحدث الا في ثلاثينات القرن العشرين .

وعلى أية حال ، فان المدرسة العلية لم تنقطع ، حتى بعد تحويلها الى مدرسة للصنائع ، عن خدمة الثقافة العامة وتوجيهها، ففيها انشئت اول مطبعة حديثة في تاريخ العراق ، وبدوران عجلاتها ، صدرت أول صحيفة عراقية حملت اسم الزوراء في صبيحة يوم الثلاثاء ١٥ حزيران سنة ١٨٦٩ ، وفي المدرسة نفسها تخرج جيل كامل من العمال الفنيين ، منهم عدد من المدربين على ادارة المطابع وتنضيد الحروف ، فكانوا رواد حركة الطباعة والنشر في العراق ابان العهود التالية .

وعلى الرغم من تغير العهود ، وتقلب الاحوال، فقد استمرت المدرسة العلية تؤدي دورها ، في كل عهد ، بما ينسجم مع طبيعة العهد نفسه ، فهي بعد الاحتلال

البريطاني مرأب ومعمل لتصليح السيارات ، وفي اوائل عهد الحكومة العراقية قصر للملك فيصل الاول ، فالملك غازي ، وتحولت منذ سنة ١٩٣٨ لتكون مقرا للمجلس النيابي ، حتى سقوط النظام الملكي ، فمحكمة عسكرية خاصة بعده ، ثم متحفا عسكريا سنة ١٩٦٧ ، حتى انتهت سنة ١٩٨٠م قصرا كبيرا للثقافة والفنون .

الهوامش :

(*) كتابنا : مدارس بغداد في العصر العباسي (بغداد ١٩٦٦) وبحثنا : جوانب من نظم مدارس العصر العباسي ، مجلة تعليم الجماهير عدد ٢٠ (بغداد ١٩٨١) ص ١٢٢-١٤٥ .

١ - الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ١٠٨/٤ (ط. القاهرة) والخطيب : تاريخ بغداد ٩٣/١ (القاهرة ١٩٣١) .

٢ - أعمال الاجداد ٦٠/٢ (مخطوط) .

٢ أ - ابن جبير : رحلة (بغداد ١٣٥٦ هـ) ص ١٨٠ .

٣ - ياقوت : معجم البلدان ٢٥٤/٤ .

٤ - الغياث ، عبدالله : تاريخ الغياثي (بغداد ١٩٧٤) ص ٣٣٦ وانظر احمد سوسة ومصطفى جواد : دليل خارطة بغداد المفصل (بغداد ١٩٥٨) ص ٢٢٨ .

٥ - انظر : مصطفى جواد : دار المسناة الناصرية دار علم وعلماء ، مجلة كلية الآداب (بغداد ١٩٦٢) ص ١٧ - ٢٦ وناجي معروف : المدارس الشرابية (بغداد ١٩٦٥) ص ١٠٩-٢٥٥ .

٦ - انظر عنها ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية (القاهرة ١٩٧٦) .

٧ - نشرت هذه الصورة في اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة (بغداد ١٩٥١) .

٨ - عباده ، عبدالحميد : العقد اللامع في المساجد والجوامع ، ٤٨/١ (مخطوط) .

٩ - السبكي ، عبدالوهاب : طبقات الشافعية الكبرى

(القاهرة ١٣٢٤) ٤/٢٥٦ وكتابنا : مدارس بغداد في العصر العباسي ، ص ١١٦ .

١٠- تلخيص مجمع الآداب ، المجلد الرابع (دمشق ١٩٦٢) القسم ١ ص ١٠٥١ .
وقد استدل الدكتور مصطفى جواد بهذا النص على صغر حجم المدرسة ، على اساس ان التصدق بلحم بقرة واحدة لا يدل على سعة في الانفاق عليها، والذي نراه ان ذبح البقرة كان في المرحلة الاولى من البناء كما هو الحال لدى كثير من الناس حتى يومنا هذا، ولم يكن الذبح عند افتتاحها .

١١- تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق٢ ، ص ١٠٥١ .

١٢- ثم ان الدكتور جواد أثبت نص ابن الفوطي بصحته في (دليل خارطة بغداد المفصل ص ٢٠٦) ولكنه مع ذلك ابقى استنتاجه على وضعه السابق .

١٣- الغياث ، ص ٢٨٢ .

١٤- نيبور ، كارستن : رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمود الامين (بغداد ١٩٦٥).

١٥- الكركوكلي ، رسول حاوي : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس (بيروت ١٩٦٣) ص ١٣٢-١٣٨ والعمري ، ياسين بن خير الله : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام) بغداد ١٩٦٨) ص ١٨٤ .

١٦- الآلوسي : مساجد بغداد ٨٤ .

١٧- الكركوكلي : دوحة الوزراء ٢٣٩ .

١٨- عبادة : العقد اللامع (مخطوط) .

١٩- مساجد بغداد ٧٤ .

٢٠- جريدة العراق ١ تموز ١٩٣٠ .

٢١- تفاصيل هذا المشروع في بحثنا « تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد » مجلة المورد، العدد ٤، المجلد ٤ (بغداد ١٩٧٩) .

٢٢- عبادة : العقد اللامع ٤٨/١ (مخطوط) .

٢٣- العقد اللامع ٤٨/١ والدروبي ، ابراهيم : البغداديون اخبارهم ومجالسهم (بغداد ١٩٥٨) ص ٣٠٢ .

٢٤- العقد اللامع ٤٨/١ .

٢٥- نشرنا هذا الفهرس ، مع دراسة ، ط. رونيو ، بغداد ١٩٨٤ .

٢٦- مساجد بغداد ٨٤ .

٢٧- جريدة العراق ، مقالة سبقت الاشارة اليها .

٢٨- مساجد بغداد ٨٥.

٢٩- جريدة العراق ٥ تموز ١٩٣٠ .

٣٠- دليل خارطة بغداد المفصل ٢٠٥ .

٣١- دائرة الآثار والتراث ، اضبارة المدرسة العلية .

المصـــادر

الآلوسي ، محمود شكري الالوسي :

مساجد بغداد وآثارها ، بتهذيب محمـــد بهجـة
الآلوسي ، نعمان خيرالدين :

الآلوسي ، نعمان خيرالدين :

فهرست مكاتب بغداد الموقوفة . تحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف ، ط . رونيو،مركز احياءالتراث العلمي العربي ، بغداد ١٩٨٤ .

ابن جبير ، محمد بن احمد :

رحلة ابن جبير ، بغداد ١٣٥٦هـ .

جواد ، مصطفى :

- قصر الناصر لدين الله بالقلعة ، جريدة العراق ، بغداد ١٠ حزيران ١٩٣٠ .
- عمارات القرن السادس الضخمة ، مجلة سومر، المجلد ٢ ، ١٩٤٦ .
- دار المسناة الناصرية دار علم وعلماء ، مجلـة كلية الآداب ، بغداد ١٩٦٢ .

الحموي ، ياقوت بن عبدالله :

معجم البلدان ، القاهرة .

الخطيب البغدادي ، احمد بن علي :

تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ .

الدروبي ، ابراهيم عبدالغني :

البغداديون اخبارهم ومجالسهم ، بغداد ١٩٥٨ .

رؤوف ، عماد عبدالسلام :

- مدارس بغداد في العصر العباسي ، بغداد ١٩٥٨ .
- جوانب من نظم مدارس العصر العباسي ، مجلة تعليم الجماهير ، بغداد ، العدد ٢٠ ، السنة ١٩٨١ .
- تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ، مجلة المورد، العدد ٤ ، المجلد ٨، بغداد ١٩٧٩ .

السبكي ، عبدالوهاب :

طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

سوسة ، احمد :

اطلس بغداد ، بغداد ١٩٥١ .

سوسة ، احمد وجواد ، مصطفى :

دليل خارطة بغداد المفصل ، بغداد ١٩٥٨ .

السهروردي ، محمد صالح :

- اعمال الاجداد في محلات ومعاهد وآثار وقطائع وقصور وسويقات واسواق دار الخلافة بغداد ، نسخة بخط مؤلفه في مكتبتنا الشخصية .
- قصر ام حبيب يؤول الى مستودع اسلحة ثم الى المدرسة العلية ثم الى قصر يسكنه فيصل الاول، جريدة العراق ، بغداد ٢٧ و ٢٨ حزيران ،١و٢ تموز ١٩٣٠ .

– ليس قصر القلعة قصر الناصر لدين الله ولا قصر المأمون العباسيين بل قصر ام حبيب العباسية. جريدة العراق ، بغداد ١٦ و ٢١ و ٢٣ حزيران ١٩٣٠ .

عبادة ، عبدالحميد :

العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع ، نسخة مصورة في مكتبتنا الشخصية ، وقد حققناها بالمشاركة واعددناها للنشر .

العزاوي ، عباس :

تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٣٥–1956 .

العمر ، ياسين بن خير الله :

غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، بغداد ١٩٦٨ .

الغياث ، عبدالله بن فتح الله :

تاريخ الغياثي ، الفصل الخامس ، بتحقيق د. طارق الحمداني ، بغداد ١٩٧٤ .

ابن الفوطي ، عبدالرزاق :

تلخيص مجمع الآداب في معجم الاسماء والالقاب ، المجلد الرابع ، تحقيق د. مصطفى جواد ، دمشق ١٩٦٢ .

الكركوكلي ، رسول حاوي :

دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ،

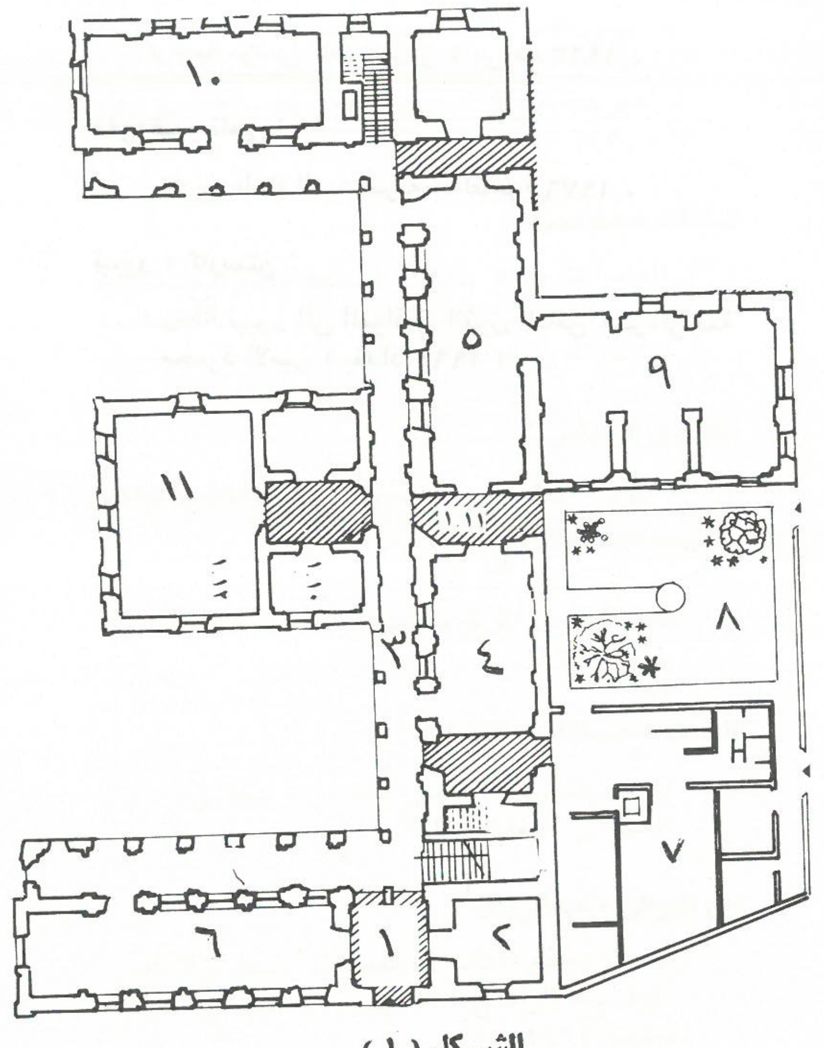
ترجمة موسى كاظم نورس ، بيروت ١٩٦٣ .

معروف ، ناجي :

تاريخ علماء المستنصرية ، القاهرة ١٩٧٦ .

نيبور ، كارستن :

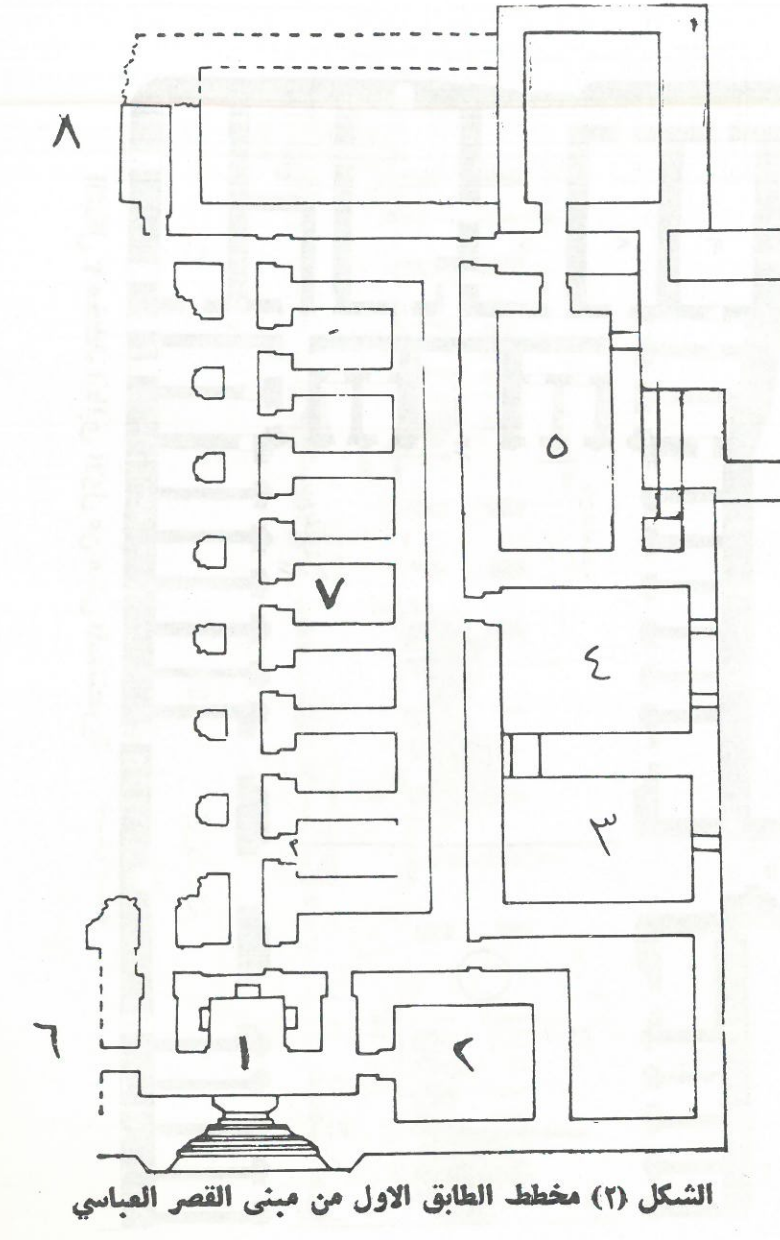
رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمود الامين (بغداد ١٩٦٥) .



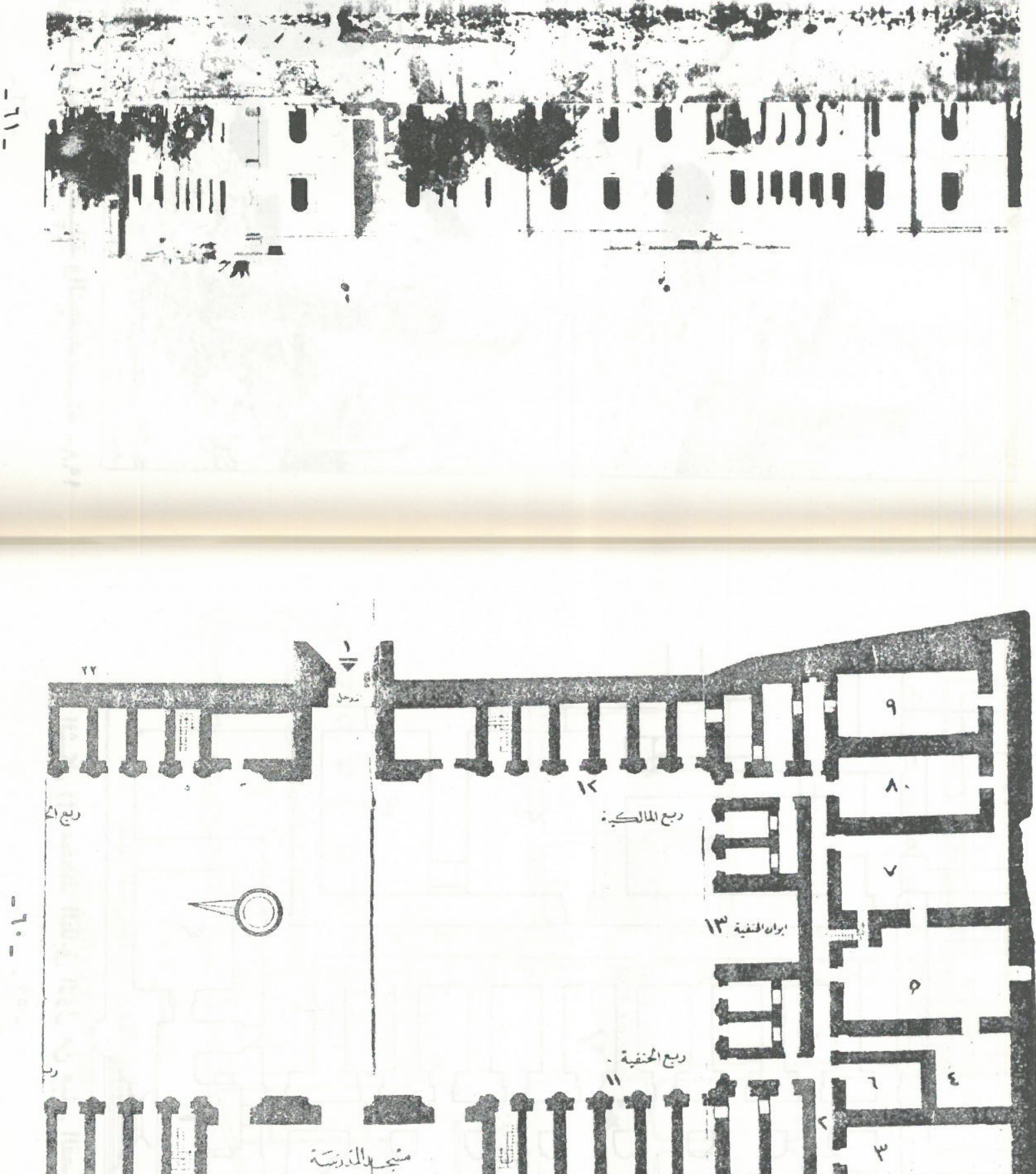
الشكل (١)

مخطط الطابق الاول من المدرسة العلية

(قصر الثقافة والفنون)



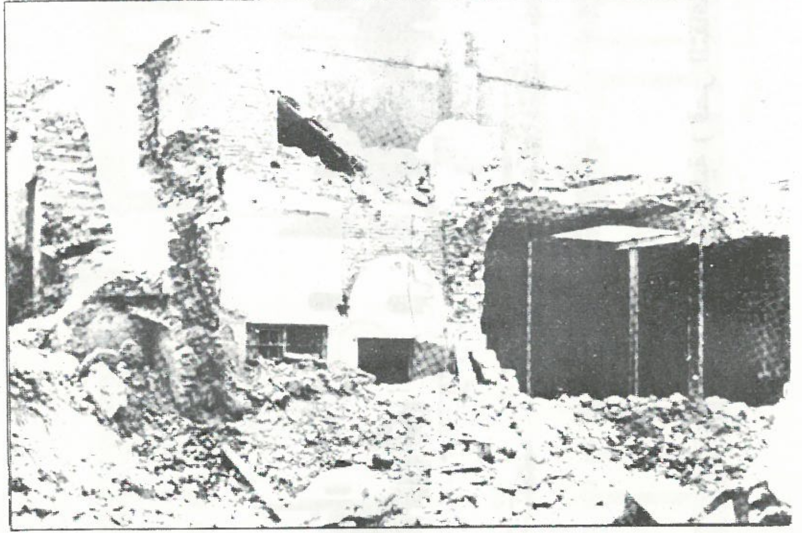
الشكل (٢) مخطط الطابق الاول من مبنى القصر العباسي



الشكل ٣ مخطط الطابق الأول من مبنى المستنصرية

المدرسة العلية (قصر الثقافة والفنون حاليا)





مبنى المدرسة العلمية في اثناء عمليات الصيانة والتجديد سنة ١٩٨٠



طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٨

الغلاف : رياض عبد الكريم
السعر ٥٠٠ فلس

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة